

# " هيكل " و " بطرس " .. مات الجسد وبقيت " المدرسة " عامرة بالأبالسة !



السبت 27 فبراير 2016 12:02 م

## كتب: شعبان عبدالرحمن

شعبان عبد الرحمن

أما وقد شيعت الجنائز، وبات الموتى بين يدي الله يحاسبهم بعدله ، يبقى من مات كشخص عند ربه ، ويبقى لنا التوقف أمام تاريخ ومواقف من يقضي نحبه ، للدراسة والتحليل ، خاصة إذا كان ملئ السمع البصر مثل الكاتب الصحفي الكبير محمد حسين هيكل ، والدكتور بطرس غالي الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة .

ولسنا في حاجة للتعريف بالرجلين ، فقد شبعنا شهرة ونفوذًا واحتفاء وثناء جزاء ما قاما به من أعمال وكتابات خدمة لنظم حكم القاهرة لشعوبها ، ومخاصمة لدينها ومحاربة لمن يحملون فكرته ومشروعه . أنظمة حكم علمانية متطرفة لكنها تتشخ بديكورالدين رفعا للعتب ، وأنظمة حكم وجدت في المشروع الإسلامي النابع من تراب الوطن العدو الأخطر ، ووجدت حامله أخطر علي الشعوب من تجار المخدرات ومن الجواسيس بين ثنايا البلاد . وبالتبعية لأنظمة الحكم التي يخدمان عليها كان الرجلان ترسا - غير مباشر - في فلك النظام العالمي بمشروعه الاستعماري الكبير الذي يستهدف قبل كل شيء اقتلاع الإسلام من بلادنا وإبادة أي مكونات تدعو إليه أو تدافع عنه ، ولا يسمح لنظام حكم أن يتربح دون الالتزام بحراسة مشروعه والعمل علي وأد أي نبتة إسلامية[]

هما إذا من مدرسة مخاصمة الإسلام ومشروعه الحضاري ، تلك المدرسة التي جمعت أسماء شتي بين محمد وبترس وعبد الفتاح وجرجس وأحمد وإيليا وعلي وتواضروس .. هي مدرسة ولودة وولادة ، يتعاقب الأجيال فيها جيلا بعد جيل ، وجمعت بين جنباتها أجيالا من الساسة والأدباء والاقتصاديين وأهل الفن ، منذ المعلم يعقوب مرورا بكل الأعلام الذين كانت مهمتهم الدعاية لأنظمة قمعية تتعامل مع الشعوب معاملة العبيد في بلاط السادة !

محمد حسين هيكل ، رجل من الطراز الأول بلا منازع علي صعيد الحرفة والمهنة ، ولكن لم يذكر للرجل مرة واحدة أن دافع عن حرية مهنته (الصحافة ) أو وقف معارضا لحاكم انتهك حرية الرأي أو حقوق الإنسان ، ولم تذكر له كلمات حقيقية تدعو لتحرير الشعوب ، بل بالعكس كان بوقا ساحرا لطواغيت العصر ومصاصي الدماء ، كان الذراع الإعلامي الأقوي لعبد الناصر، وهو يضع مصر خلف القضبان ويجرد حملات إبادة وحشية ضد حقوق الإنسان وخاصة ضد أصحاب المشروع الإسلامي وقادته وهم الإخوان المسلمين ، ولم يكن بعيدا عن ذلك كما ادعي . وقد كشف الرجل عن وجهه المحارب للإسلام وللتوجه الإسلامي ولتحرير الشعب المصري من ربكة الاستبداد ، عندما قاد بنفسه أشرس حملة سياسية وإعلامية لإسقاط الرئيس الشرعي المنتخب [] محمد مرسي بانقلاب عسكري، شارك في التخطيط له ودعمه ، وظل يؤيده حتي الرمق الأخير من حياته ، لا لشئ إلا لأن الرئيس جاء من بين أصحاب المشروع الإسلامي .

فمنذ اندلاع ثورة 25 عام 2011م ، وحين بدا في الأفق الإقبال الجماهيري الهادر علي انتخاب الإسلاميين في كل الاستحقاقات التي أجراها المجلس العسكري ( خمسة استحقاقات ) وقف هيكل بالمرصاد لاقتراب أي إسلامي من سدة الحكم ، أو بالأحرى اقتراب الإسلام من سدة الحكم ، وقال قولته المشهورة لقناة الحياة قبيل جولة الإعادة في الانتخابات الرئاسية : " لا أوافق على حكم الإخوان لمصر، ولا حكم إسلامي لمصر حتى ولو كان عبد المنعم أبو الفتوح".!

أزعم أنني أقرأ وأتابع كتابات هيكل منذ كنت طالبا في نهاية المرحلة الابتدائية وكنت أحفظ مقالاته الأسبوعية "بصراحة" ، كما أتابع حواراته بصورة شبه منتظمة ، وأعتقد جازما أن الرجل عبر هذا التاريخ الطويل لم ينصف الفكرة الإسلامية بكلمة واحدة ، ولم يتحدث عن التيار الإسلامي في أي مرة إلا باستخفاف، وإن أنصف مرة فسرعان ما يمحوها، وفي المقابل لا أذكر أن " هيكل " وجه نقدًا حقيقياً ومنصفاً لسياسات أي دكتاتور في المنطقة !

أذكر انني زرته في بيته عام 1993م ضمن وفد صحفي ودار يومها حوار عن حرية الصحافة وحرية تشكيل الاحزاب ، وتطرق الاستاذ صلاح عبد المقصود وزير الإعلام في حكومة الرئيس مرسي يومها لحق الاخوان في إنشاء حزب سياسي ، فعارض هيكل بشدة ، وبشر بأن تجربة الأحزاب الاسلامية في البلاد العربية ستنتهي ، وعندما جادلته في ذلك غضب ، لكنه ظل طوال الجلسة بين الحين والآخر يؤكد علي أنه ليس ضد الإسلام ، مدلا علي ذلك بأن جده كان يصطحبه صغيرا إلي مسجد الحسين ، وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يوصي

بالصلاة علي جثمانه في مسجد الحسين رضي الله عنه !

أما د<sup>ر</sup>" بطرس " غالي فلا يختلف في قناعاته عن " هيكل " لكن يضاف إلي ذلك - كونه خصما لدودا للإسلام بالنشأة - حبه ووفاءه لمشروع كنيسته ، نعم لقد وضع الرجل اسم مصر بين الدول التي تبوأَت رئاسة الأمم المتحدة ، ولكن ماذا قدم لمصر بهذا المكان وبتلك المكانة ؟ .. لقد كان كسابقه وخلفه في المنظمة الدولية ، موظف لدي النظام الدولي يبصم علي ما يريده الكبار . بعد توليه أمانة الأمم المتحدة عام 1992م ، قاست اليوسنة والهرسك المسلمة أشنع مجازر تطهير عرقي في القرن العشرين علي يد الصرب الأرثوذكس وقد علم " بطرس " بتلك المجازر لكنه صمت عنها ، وأذكر أنني زرت اليوسنة في بداية تلك المجازر لتغطية الأحداث ، وخلال زيارتي لإحدى المستشفيات التي كانت تغص بالجرحي في مدينة " توزلا " فوجئت بإحدى المصابات تقول لي : إن رجلا من بلادكم اسمه بطرس غالي يرأس الأمم المتحدة هو من يشجع علي قتلنا ! وبينما كان يستعد للترشح لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة كنت أقوم بحملة صحفية علي صفحات جريدة الشعب كبري صفح المعارضة المصرية في ذلك الوقت ، كشفت خلاله عمليات تصدير نظام مبارك للطوب ومواد البناء سرا لبناء المستوطنات الصهيونية ، يومها سألته عن رأيه في ذلك ففاجأني قائلا : ولم لا؟؟ نحن نعطيهم بترولاً وهو أهم من الطوب ، ثم لماذا تسألني هذه الاسئلة المحرجة وأنا مقبل علي موقع الامين العام للامم المتحدة؟! .

" بطرس " كـ " هيكل " .. من " مدرسة " واحدة ، كلاهما أيد الانقلاب العسكري الدموي علي الرئيس مرسي ، وإن كان " هيكل " هو المهندس الأكبر لذلك الانقلاب وظل ينافح عنه حتي الرمق الاخير ، إلا أن " بطرس " أعلن صراحة في حوارات تليفزيونية مسجلة ضرورة إبادة الاخوان المسلمين مهما كان الأمر ، حتي تتخلص مصر من الخطر - في رأيه - ، ذلك هو " بطرس " زوج اليهودية شقيقة زوجة إسحاق شامير ، فهل ينتظر منه اقل من ذلك؟! إنموقفه لم يقل بشاعة عن موقف رئيس كنيسته الذي احتفي ومعه كثير من أصحاب العمام البيضاء ببرك الدماء التي فجرها المجرمون بحق المسلمين

رحل الرجلان .. وبقي المنهج ، ومازالت المدرسة مفتوحة علي مصراعيها لتخريج ورعاية المزيد من " هيكل " و" بطرس " وما شابههما ... يحيطهم بريق الدعاية ، وبرق الكلمات ، وهالة القداسة ... حتي يقضي الله أمرا كان مفعولا .

• الكاتب مدير تحريرجريدة الشعب المصرية ومجلة المجتمع الكويتية- سابقا